اللاّ زمنية في القصيدة الروحيّة المعاصرة

د: ليلى لعوير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص: يهدف هذا المقال إلى مناقشة مفهوم اللاّزمية في القصيدة الروحية المعاصرة، وكيف تشّكلت في وعي الشاعر، وانفتحت على مفاهيم ورؤى تعلقت بمذاهب فكريه وفلسفية مختلفة أفضت إلى تنوع في صياغة المفهوم ، وإعطائه أبعادا، انفتحت على لازمنية عدمية و لازمنية عبثية ولازمنية أبدية ولازمنية تعانق البعد الأخروي .

كما استغرقت في الإجابة عن سؤال جوهري هو: إلى أي مدى استطاعت القصيدة الروحية المعاصرة تأكيد وترسيخ المفهوم من خلال الممارسة الشعرية ، وإعطاء الشاعر سلطة قوية ،تمنحه فكرة الخلود بفعل الوعي والإيمان والوهم والغواية عندما يتحرك بقصائده في اللازمني واللامتناهي.

مقدمة: إنّ الشعراء كانوا لا يزالون أكثر النّاس، إحساسا بالزّمن لما يبعثه في نفوسهم من أحاسيس وانفعالات، عمّقت على امتداد فضائهم الرؤيوي فهمهم له، ومنحتهم مساحات التواصل معه كحقيقة ذاتيّة، يتسع وجودها الخارجي ويمتد، عندما يتحرّك في اللاّزمني كمعنى يختاره الشّاعر ليتماهى بقصائده فيه، في الّلا وجود واللاّ تناهي .

فإلى أيّ مدى أسهمت القصيدة الرّوحية المعاصرة في تأكيد اللاّ زمنية، وإعطاء الشاعر سلطة تمنحه فكرة الخلود، بفعل الوعي والإيمان و الوهم و الغواية.

هذا ما سيحاول هذا المقال الخوض فيه، عبر الانفتاح على مفهوم اللاّزمنية في القصيدة المعاصرة في بعديها الفلسفي والديني.

مقدمة

لعلّ قلق فهم الذات، وحرص الإنسان المعاصر، على استيعاب ما يحيط به من هواجس وأحوال، وحالات وساعات، عجّل في إطار مفاهيم الواقعيّة الرّوحية[1]، والسّريالية الحالمة بالالتفاف حول

[1]– تتميّز الواقعية الرّوحيّة، بثنائيّة تتمثّل في إسقاط الرّؤى الباطنيّة على العالم الخارجي، وتضع التّراسل بين الرّؤية الباطنة والواقع الخارجي، أو في وسط الحدث، بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي.والغاية هي تخطّي الحاجز بين العالمين، من أجل خلق عالم جديد أو واقع أسمى، أو من أجل الاكتشاف المنظّم لأعماق الذات .وهذه الحالة الوجوديّة تضع الإنسان في منطقة "البين بين" أو البرزخ كما يقول ابن عربي، وتشير عوالم البين بين أو العالم الخارجي إلى التّسويّة بين الخلود الّذي لا يصدّقه عقل والهلاك الّذي لا يقبله أحد ..ومن خلال

الأنا، ومدّها بالعلائق الماديّة والمعنوية الكفيلة، بجمع شتات التفكير في ماهية الزمن، كصيغة مثلى للحضور، أو الغياب في الواقع والحياة، وكفلسفة تمتدّ إلى التأمّل في الماورائي والمبهم و العدمي، عبر أسئلة "الوجود والعدم والحركة والثبات والروح والجسد والإيمان والإلحاد وأهمّ المشكلات الفلسفية "التّي[1] تصنع الفارق لفناء الإنسان وخلوده .

والشعر كما هو اختراق لدواخل الإنسان، هو أيضا اختراق للزمن "كوعي بالخاصيّة الزمانيّة وهي تختبر وجودها عبر الكلام"[2]، لترتقي بالمادي إلى ما هو روحي في ظلّ التداخل المفروض بينهما، حيث تتلاءم الأضداد "فلا يعود الموت نقيضا للحياة أو انقطاعا عنها،وإنّما يصبح وجهها الآخر،أو نوعا آخر من الحياة "[3]، ومن هنا يتماهى الزمني في اللازمني لتصبح اللازمنية نوعا من الانزياح الّذي يتجاوز الوجود المتزمّن إلى الوجود اللّامتزمن الّذي "يجد أصله في نزوع الإنسان إلى العثور على أساس لا يستند إلاّ لذاته،ويكون غير قابل للدحض باعتباره حقيقة تتمتّع باليقين "[4]،

هذا اليقين، الّذي يتعالى على كلّ ما هو سماوي، لأنّ مبدأ الحياة فيها قائم على الحرّية المطلقة، كمصدر أوّل للعالم الرّوحي،حيث يخترق الإنسان بنية الزّمني ليغدو كائنا أبديا، ما يفتأ ينتج بحدوساته وفيوضاته الشعريّة الوجوديّة، معاني مختلفة للاّزمنية الّتي ليست في الحقيقة، سوى انعكاسات لتفكير الإنسان الغربي، وفلسفته الّتي تبنّاها العقل العربي، هذه الفلسفة المفتوحة على: سؤال الحياة والموت، والوجود والفناء والخلود والعدم .والّتي قد تتجلّى فيما يلي:

أ . اللازمنيّة / الوعي بالعدميّة :

ينبغي أن أشير هنا أنّ اللازمنية في بعدها الفلسفي، ترتبط، بالعدمية كمصطلح مقابل لها في تشكيل الوعي الشعري، وضبط حلقة الروحيات لدى الشاعر العربي المعاصر بما هو مادي، بوصف هذا التّشكّل ينتمي عموما لفلسفة ترى أنّ الإنسان على قول مارتن هيدغر: هو وجود للفناء في

إدراك الازدواجيّة بين أرواحنا و أحاسيسنا يستطيع الشاعر أن يقترب من التّوحّد النّهائي في الآخرة، . وعلينا أن نرى في تعدّد أحاسيسنا مجرّد إشارة إلى الحسّ المتزامن الّذي يمكن أن يحدث خلال توحّد الحياة السّماويّ والحلم . للتوسع انظر: محمّد شبل الكومي :النّظريّات الأدبيّة دراسة في الشعر المصري المعاصر، الهيئة العامّة للكتاب، سنة2003، ص221ومابعدها.

[1]– سمير الحاج شاهين:لحظة الأبديّة دراسة الزّمان في أدب القرن العشرين، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، سنة1980، ص5,

[2]–عبد العزيز بومسهولي: الشعر، الوجود والزّمان، رؤية فلسفيّة للشعر، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، سنة2002، ص127.

[3]–أدونيس: الصوفيّة والسورياليّة، دار الساقي، بيروت، لبنان ط3، سنة2006، ص61

[4]–عبد العزيز بومسهولي، الشعر، الوجود، الزّمن، ص 128

جوهره[1]، وبالتّالي لا معنى للمقصديّة عنده في ظلّ انقلاب جوهري ينفي سلطة الإله ويتصوّر أنّ العدم أحد خصائص الهويّة البشريّة فيصرخ:

أنا الّذي أحيا بلا أبعاد

أنا الّذي أحيا بلا آماد

أنا الّذي أحيا بلا ظلّ بلا صليب[2]،

إنّ الوصف الزمني للحياة لدى الشاعر هنا، يتضمّن بمعطيات النفي المفتوح على اللاّ أبعاد واللاّ آماد، صيغة عدميّة يستقرأ منها قلق الرّوح و تشظيها أمام فلسفة التّيه الّيى تضيّق على الإنسان أفق الميتافيزيقي و الماورائي وتجعل من الزّمن الآتي عدما يتأكّد بالموت يقول خليل حاوي

وأنا في الكهف محموما ضرير

يتمطّى الموت في أعضائه

عضوا فعضوا

ويموت

كلّ ما أعرفه أنّي أموت

مضغة تافهة في بطن حوت [3]،

هذا الموت الّذي يخترق جسد الشاعر،فيفنيه، ويغرقه في لا أدرية، طبعها فهم مشوّه لوجود تنفتح أناه فيه، على عالم مظلم ملغز ضرير، يتصوّر الوجود كهفا أو بطن حوت ينخرط فيه الزّمني باللاّزمني عبر الموت الّذي يمثل بداية العدم أي بداية اللاّزمنيّة ,الّتي تصبح بديلا يحرّر الشعراء من وهم الحقائق الغيبيّة الّتي تصبح في النّهاية مجرّد حكاية لا توجد إلاّ في السرد [4]، ويصبح فيه ما هو روحي، وهما نابعا من الإحساس بالعدم وغيا ب المقصديّة. هذا الغياب الّذي يفترض الشعر الوهم و القضايا الوهم:

سأسافر في موجة من جناح

سأزور العصور الّتي هجرتنا

والسّماء الهلامية السّابعة

---

[1]–ريجيس جولييه:المذاهب الوجوديّة، ترجمة، فؤاد كمال، الدّار العربيّة، د ت ط، ص102.

[2]–صلاح عبد الصّبور:ديوان صلاح عبد الصّبور، دار العودة، بيروت، سنة1972، ص149.

[3]– خليل حاوي :ديوان خليل حاوي، دار العودة، بيروت، سنة2001، ص54.52.

[4]– عبد السّلام بنعبد العالي: أسس الفكر الفلسفي المعاصر ـ مجاوزة الميتافيزيقا دار توبقا للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، سنة2000، ص 131.

وأزور الشّفاه

والعيون المليئة بالثّلج و الشّفرة اللاّمعة

في جحيم الإله[1]

والشاعر الوهم :

خلّني أمضي إلى ما لست أدري

لن تغاويني الماوني النّائيات

مبحر ماتت بعينيه الطّريق

مات ذاك الضّوء في عينيّه مات[2]

ومن ثمّ يختزل الروّحي في ما هو مادي لاكتناه اللاّزمني فيما هو عدمي .

ب- اللازمنيّة / العبثيّة :

إنّ التفاعل بين اللازمنية بوصفها عدم و اللازمنية بوصفها عبث تكمن في أنّ كلا المرادفين يتعلّق بالفلسفة المادّية الّتي تقصّر وجود الإنسان على الحقيقة اليقينيّة الوحيدة الّتي نادى بها ديكارت وهي: أنا أفكّر إذن أنا موجود وبذلك ينحصر الوجود اليقيني للإنسان في تفكيره الذاتي الّذي لا يوجد سابق له،أو خارج عنه [3] و"هدف الوجود هو تحقيق الوجود ذاته"[4]، ومن ثمّ تصبح عتبة العدم بداية لممارسة الحياة الفردية الّتي تحاول أن ترتقي بالروحي عبر الاندماج فيما هو مادي من خلال التحرّر من ثقل القيم وإلباس الشعر صبغة المساءلة الجوهرية لهذا الوجود الّذي لا يمكن أن يكون وراءه شيء كما سبق الذكر وبالتّالي يمنح الإنسان مشروعية اختراق كل شيء، والتّحرّر من كلّ ما هو غيب والانفتاح على فضاء تنمحي فيه الأبعاد " ومعنى هذا أنّ يكتشف في أرضيّة العبث الكوني أفقا لاختبار طاقته على استعادة الخلود " [5]، باعتباره اقتناصا للحظة الهاربة من خلال استغلال كلّ أنواع اللّذة لعلّ أهمّها في هذا الإطار لذّة الجسد يقول أدونيس :

آه الجسد

قدر حلو أغوى الأرض

---

(1)- أدونبس: الآثار الكاملة، ج1، دار العودة، بيروت، سنة1971، ص285.

(2)- خليل حاوي: الديوان :ص48.49.

(3)- عبد الرّحمان رأفت باشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنّقد، دار الأدب الإسلامي، القاهره، ط5، سنة2004، ص95

(4)- المرجع نفسه، ص96.

(5)- عبد العزيز بومسهولي: الشعر، الوجود والزّمان ص181.

ولهيب شعور لا يبترد

آه الجسد

من أطفال الجسد الأبد

فيه نغرس، فيه نقطف

فيه مالا يعرف يعرف[1]،

إنّ الارتماء في أحضان المرأة الّتي يلبسها رمز الجسد، هو في الحقيقة ارتماء في اللاّزمني لكونها المخرج الممكن الّذي يمنح الشاعر القدرة على الاغتراس في الأبد .والهروب إلى الخلود .

إنّه يتابع رسم المشهد حين يقول :

جسدك صوتي أسمعه

نظري أتشرّد فيه

جسدك رحيلي وكلّ خلية منطلق[2]،

رحيل إلى اللاّزمني الّذي يحقّقه التوحّد مع الجسد ؛حيث تنطلق الصياغة الجديدة للأبد، فكلّ خليّة منطلق نحوه، وبمثل هذا التّماهي تتمّ تحوّلات الرّوح ا، لّتي تهيّأ من خلال التجاوب النفسي مع العبثي لحالة صوفيّة منتشية يكون فيها الشعر، طاقة تخييليّة يستغلّها الشاعر من خلال اللامعقول، في التعبير عن مواجده الدّاخليّة .

ج . اللاّزمنيّة / الأبديّة:

إنّ ترشيد الشعر. إن صحّ التعبير . و دفعه نحو بناء عالم سريالي، لا يتوخى فيه حضور السلطة الدينية ممثلة في الذات العليا، كمطلق يختزل فيه الزّمني و اللاّزمني، فتح الباب واسعا أمام كثير من الشعراء الرّافضة للمبدإ الدّيني في الشعر إلى التركيز على الحلم وسيلة لتحقيق الأبدية كمصطلح يعني:الحضور الدّائم الممتنع عن الغياب والّذي يقفز على الزمني عبر الأسطورة، الّتي تستلهم أجواؤها من خلال اتّخاذ بعدها الفلسفي،وسيلة للتماهي في المطلق .

هذه الأسطورة الّتي يرى ليفي شتراوس أنّها تعطي الإنسان، وهم القدرة على فهم الكون، و أنّه فعلا يفهم الكون"[3]، من منطلق أنّها تعكس رؤية المجتمع البدائي، في صراع الإنسان مع ذاته، ومع الإنسان، ومع الطبيعة، كما تعكس قلقه وخوفه وقضاياه الوجوديّة، فالموت كان هاجسه الأوّل

---

[1]- الآثار الكاملة، ج1، ص291.

[2]- المصدر نفسه292.

[3]- للتوسّع انظر:كلود ليفي شتراوس: الأسطورة والمعنى:ترجمة صبحي حرير ي، دار الحوار، اللاّذقيّة، سوريا سنة 1985، ص20.

والانبعاث كان حلاّ لأزمته الوجوديّة، ومن ثمّ يوظّف الشاعر يوليوس وبرومثيوس، وفاوست، وايكارس، وأوديب و نرسيس، وديوايزوس، ويورديسه، وجلجامش، وتمّوز، ...و السندباد وغيرهم أبطالا لتجربته الشعريّة الّتي تبرز تلك العلاقات الّتي تربط الإنسان باللّه والكون ونفسه، وما تحمله هذه العلاقات من معاني الحياة والموت والفناء والخلود والشجاعة والخوف [1]،هذه المعاني الّتي تجسّد بعالمها القديم حلم الانبعاث الأسطوري [2]،ومن ثمّ يهرب الشاعر نحوها، باحثا عن هويّته الوهم وعن ملجئ يحميه من التّفكير بأنّه مقذوف به هنا[3]،مستلهما أجواءها متخذا بعدها الفلسفي رمزا فنّيا بدلالات مختلفة تقهر العدم فيه وتلبسه طقسا أسطوريا يتلذذ الأبدية والخلود، وهو ينبعث حيّا في رمز الفينق تارة يقول أدونيس:

فينق إذ يحضنك اللّهيب أيّ قلم تمسكه

والزّغب الضائع كيف تهتدي لمثله

وحينما يغمرك الرّماد أيّ عالم تحسّه

و ما هو الثوب الّذي تريده اللّون الّذي تحبّه [4]،

وفي رمز تموز تارة. يقول بدر شاكر السّياب :

وقام تمّوز بجرح فاغر مخضّب

يصكّ موت صكّة محجّبا ذيوله

وخطوة الجليد في الشّقيق والزّنابق [5]،

هذا الانبعاث الّذي يعني العود الأبدي . على قول نيتشه . للروح وهي تنتشي بولادة زمن آخر، يتضاعف فيه إحساس الكائن البشري بالوجود الذي يقهر العدم .

لقد كانت الأسطورة بين يدي الشاعر المعاصر، فضاء للتجلّي و الحضور، ومن ثمّ لم يقف في استعماله لها عند حدّ استغلال الرّمز لاستجلاب اللاّزمني أي : الأبدي، بقهر الموت وإنّما تعدّاه

---

[1]– انظر :أسعد رزوق: الشعراء التّمّوزيّون، الأسطورة في الشعر المعاصر، دار الحمراء، بيروت ، لبنان، سنة1990، ص15، وانظر أيضا :عزّ الدّين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنّيّة، دار العودة، بيروت، ط3، سنة1981، ص202وما بعدها.

[2]– للتوسّع انظر :أمال لواتي: التغريب في الشعر العربي المعاصر، حركة شعر نموذجا، رسالة دكتوراه، جامعة الأميرعبد القادر اللعلوم الإسلاميّة، سنة2007، ص328 وما بعدها.

[3]– انظر: سمير الحاج شاهين، لحظة الأبديّة دراسة الزّمن في القرن العشرين، ص27

[4]– أدونيس: الآثار الكاملة، ج1، ص312.

[5]–الديوان، ج1، ص271

إلى استجلابه أيضا من خلال تأليه نفسه، وبالتّالي فرض الأسطورة الذّاتيّة الّتي تخلق العالم البديل والوجود البديل والإله البديل الّذي يعطي لنفسه مشروعيّة خلق كلّ شيء والحلول في كلّ شيء يقول بلند الحيدري:

أنا الخالق إنساني

أنا الهادم والباني

أنا ربّي شيطاني

أنا العائش في ظلّ

أنا الموت بلا شكل [1]،

وهكذا تكون رؤيا الذّات موافقة لرؤيا المجتمع البدائي الّذي يتوهّم كلّ شيء في ظلّ طفولة عقليّة تمنح الذات الشاعرة سلطة التّضخّم بالغواية، فتكسب حلما أسطوريا يمارس معه الإنسان سلطته المركزيّة فيصرخ:

ذاك مهيار قدّيسك البربريّ

يا بلاد الرّؤى و الحنين

حامل جبهتي لابس شفتي

ضدّ هذا الزّمان الصغير على التّائهين

ذاك مهيار قدّيسك البريريّ

تحت أظافره دم وإله

إنّه الخالق الشّقيّ

إنّ أحبابه من رأوه وتاهوا[2]،

"ومن هذه الوجهة يضحى"الأنا المتعالي "بإرادته الحرّة وقدرته الذاتيّة على ممارسة اللعب الحرّ "[3]،

فيضا ذاتيا يمنح من خلاله الشاعر لنفسه مشروعيّة التّألّه يقول أدونيس:

أخلق أرضا تثور معي وتخون

أخلق أرضا تحسّستها بعروقي

ورسمت سماواتها برعدي وزيّنتها ببروقي

---

[1]–بلند الحيدري: الدّيوان، دار العودة، بيروت، ط1، سنة 1951، ص85.86،

[2]–أدونيس :الآثار الكامة، ج1، ص352.

[3]– عبد العزيز بومسهولي: الشعر، الوجود والزّمان، ص135

حدّها صاعق وموت و راياتها الجفون[1]،
ويمنحها سلطة الغواية الّتي تبعث على محو كلّ حكمة عدا حكمته:
ماحيا كلّ حكمة
هذه ناري

ومن ثمّ تتشكلّ رؤيته للأبدي من خلال انهيار المطلق، والحلول مكانه عبر بعث الحلم الأسطوري الّذي يستخدم كواسطة يمكن من خلالها أن تتوحّد ذاته في العالم، و يتوحّد العالم فيه.

ولعلّنا نلحظ من خلال ما سبق أنّ اللازمنية، بمعانيها المختلفة في التّصوّر الشعري الوجودي بكلّ مشاربه، عكست أحادية الفكر، وانفتحت على هدم الميتافيزيقي، واغتيال القيمي، ومن ثمّ إلغاء الثنائيات [2]، الّتي من ضمنها ثنائية العبد والرّب والتي يتشكلّ في إطارها الفضاء الرّوحي على المستوى الديني والإسلامي، خصوصا أنّ اللازمنية بهذا المعطى تبنى على ارتباط الدنيوي بالأخروي والمشهود بالغيبي، والفاني بالباقي، أين يصبح الموت مطيّة عبور لحياة أخرى أطول وأدوم، وليس إشكالا فكريا يعبر بصاحبه إلى حيث المتاه والتّلاشي والحلول والتوحد.قد تتضح فيما يلي :

د : اللاّزمنيّة/ارتباط الدنيوي بالأخروي:

تبقى العلاقة بين الشاعر وثنائية الحياة والموت في التّصوّر الوجودي، مفتوحة على كثير من الأسئلة الّتي تعمّق الإحساس بالوجود من عدمه، وتقرّب الرّؤية أو تبعدها فيما تعلّق بفاعليّة الإنسان ومغزى وجوده،فالشعور بالوجود هو الشعور بالحياة، ولذا كره النّاس الموت، وتعلّقوا بالحياة،، مهما يكن ما يلقى النّاس فيها من ضنك، وجعلوا لها مخارج وهذا شأن من جعل الدنيا، نهاية الحياة .

أمآ في التّصوّر الإسلامي فإنّ الإسلام عرض " لضربين من الوجود هما الوجود المتزمّن والوجود اللامتزمّن الّذي لا يخضع لزمن معيّن . وربط بينهما ربطا عميقا يقوم على العلاقة بين الخالق والمخلوق والنسبي والمطلق فأمّا الوجود المتزمّن فمرتبط بالغاية الكلّية للحياة،وأمّا الوجود اللاّمتزمن فهو الزّمن السّرمدي القائم من الأزليّة إلى الأبدية، وهو الزّمن الرّحب الّذي يميّز الزمن الإسلامي، هو امتداد الزّمن في هذا العالم بين الخلق بوصفه بدايته، والبعث بوصفه نهايته وبينهما يمتدّ تاريخ الإنسانيّة على الأرض،لذا فالإنسان المؤمن ينظر إلى الوجود الزّمني بوصفه متصلا بين الدنيا والآخرة،لا يقطعه موت أو رغبة موقوتة،وتتعلّق آماله بالأبديّة و السّرمدية التّي هي مصدر سرور وابتهاج"[3]، من ثمّ يربط بين

---

[1]– الآثار الكاملة، ج1، ص422.

[2]– للتوسّع انظر: عبد الوهاب المسيري :الفلسفة الماديّة وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط1، سنة2002، ص39.

[3]–يحي هويدي :مقدّمة في الفلسفة العامة، دار النهضة العربية، سنة1971، ص160.

الدنيا والآخرة في وحدة زمنية منطلقا من مفهوم العبودية و الإعمار والاستخلاف بوصف الدّنيا مزرعة الآخرة. أين تتجلّى اللازمنيّة .

ومن ثمّ يعيش الشاعر، القصيدة وجدا صوفيا يتحرّك في النفس والأكوان، أثرا إيمانيا يعبّر عنه ما أسماه طه عبد الرحمان بالعمل الصالح، ينفتح على حبّ الله وتعظيمه ويمتد إلى التأمّل في الأنفس والأكوان والأحوال للارتقاء بالشعور الإنساني، والارتفاع بالروح عن كثافة الأرض، المليئة بالإعسار إلى ما هو سماوي .

ولعلّ ما يرجح هذا الرّأي أنّ الإسلاميّة بفضائها الرؤيوي عمقت فهوم الشعراء –المؤمنين بهذا الطرح– للزّمن ومنحتهم مساحات للتواصل معه كحقيقة ذاتيّة يتّسع وجودها الخارجي و يمتدّ عندما يتحرك في دائرة القيم الإيجابية كمعاني مركزية يذوب فيها المادي ، تبدأ بالإيمان بالله الّذي يعني: انبعاث الحياة والّذي تجسدّه العبودية له والمعرفة به والخضوع لأوامره، فتكون الذلّة عزّ والخضوع حرّية والغموض وضوح رؤية و الزّمن امتداد، والوجود حال، والحال أحوال،والإنسان نور من أنوار اللّه يتجلّى فيه حسّ الفناء والعبودية فيختزل الشوق ويمتدّ في اللازمني :يقول عمر بهاء الدين الأميري:

أنا في عزّتي وبأسي عبد
وأنا في تذلّل النّفس حرّ
حار قوم في الكشف عن لبس أمري
ما لأمري يا قوم لبس وسرّ
كلّ ما في الوجود حال يمرّ
وأنا في الوجود حال تمرّ
أنا للّه عزّة وخضوع
أرفع الرّأس تارة وأخرّ
هو نور محض يميت ويحي
من سنا ومضه الّدنا تقشعرّ
وأنا منه قبسة ذات وهج
أبديّ إشعاعها لا يقرّ
فانبعاثي منه عزيز أغرّ
وفنائي فيه عزيز أغرّ
أنا للّه صاغني واصطفاني

وسوى اللّه فيّ لا يستقرّ [1]،

"إنّ المعرفة باللّه من شأنها أن تفجّر المشاعر النّبيلة،وتوقظ الخير وتربي ملكة المراقبة لله والشعور بالمسؤولية "[2]،وفي هذا تتجلّى عظمة الإيمان بالله فكرا وسلوكا وتتّسع طبيعة الرّؤيا فتنفتح على عبودية يتحرّر فيها الإنسان من ربقة الألم والدّجى والليل والزّمن المقيّد بالظلمة يقول محمّد التهامي :

عل نفحة الإيمان تندى المشاعر وترتاح آلام ويسكن خاطر
وفي ومضة للرّوح ينقشع الدجى وتطوى أمام المدلجين الدّياجر
ومهما تلظى في دجى الليل مؤمن فلابدّ لليل المجنّح آخر[3]،

فليل الموت كأكبر ألم، يضحى صيغة بناء جديدة للإنسان ممتدّة في الزمن المطلق مفتوحة على عوالم الأنا والآخر حيث يثري به وجوده ووجود الآخر ين، بما يحمله من دفء إيماني يتوسّل به إلى دار الخلد الأبديّة ليثبت تحرّره من الشعور العدمي الوجودي المتضخّم بالموت، ومن ثمّ فإنّ الشاعر لا يشعر بذلك الإشكال المتأزّم في الذات الوجودية بين حبّ الحياة وتهديد الموت وإنّما يعرضها كحقيقة لفّها الوجود. يقول محمود حسن إسماعيل :

وفجأة تلوح
كعاصف ذبيح
وصمته عيون
وخطوه وقوف
وسرّه كهوف
يربض في الشّفاه
وفي شذا الحياه
وفي جبين السّاجد
و همهمات العابد
..جلاّد كلّ شيء
حصاد كلّ حي [1]،

---

[1]– إشراق:دار القلم، الكويت، ، ط1، سنة1990، ص53.

[2]–أحمد علي الملاّ :دراسة في علم العقيدة الإسلاميّة في ضوء الكتاب والسنّة، قصر الكتاب، البليدة، ط1، سنة1986، ص222.

[3]–ديوان: يا إلاهي :دار البشير، عمّان، الأردن، سنة1994، ص41

ويسألها أسئلته الّتي لا ترفضه قدرا:

لا أرفض الموت

لكنّي أسائله

هل ذقت ما أنت بالإنسان فاعله

شيء هو الموت يا جبّار

تكتمه خطاك ، أنت وراء العين حامله

تمشي بلا شبح

تسقي بلا قدح

وكلّ باب ومهما أنت داخله[2]،

إنّه يتقبّلها واقعا لأنّه يدرك أن بعد الموت، حياة يكمل فيها الإنسان وجوده، ومن ثمّ لا يتصوّرها سوى سوى رحلة من ضفاف بعضه لبعضه يقول:

مثلما تشهق الدّموع دعوني

أذرف السرّ تقيات ومضي

لا فراق ولا وداع

ولكن رحلة من ضفاف بعضي لبعضي

لا شراع ولا سفين

لكن زورق يوقض من سماء روحي لأرضي [3]،

ولعلّ هذا التّداخل الموجود بين الرّوحي والأرضي، والنّوراني والطّيني، والمادي والمعنوي، لدى الشّاعر يوحي إلى توحّده مع ذاته، وتشبّعه بفكرة الخلود الموصولة بما بعد الموت .(اللاّزمني).

هذا الخلود الّذي كثيرا ما يقترن في الذكر "بمناظر النّعيم الرّائعة، ممّا يشدّ الإنسان إلى الأمل الخالد، ويدفعه إلى استغلال كلّ ما في وجوده من طاقات، في سبيل الخير في الأرض، لكي يراها في السّماء في كتاب معلوم[4]،" يقول عمر بهاء الدّين الأميري:

---

[1]–محمود حسن إسماعيل :قاب قوسين، الهيئة المصريّة العامّة للتّأليف و النّشر، ط1، سنة1964، ص230–232.

[2]–محمود حسن إسماعيل:موسيقى من السّر، دار مأمون للطّباعة، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، سنة1978، ص98.

[3]–محمود حسن إسماعيل :قاب قوسين، ص233. 234.

[4]– عماد الدّين خليل: في النقد الإسلامي المعاصر، مؤسّسة الرّسالة، ، بيروت، ط3، سنة1983، ، ص171

وذكرت ربّي واستغثت مسلّما تسليم راح
وذكرت كوثره الفرات وماءنا الملح الأجاج
وذكرت جنّته كأنّ بمسمعي منها ثواج
واشتدّ حسن الظنّ في حدسي بخلاّقي وراج
برق اليقين بفقه قلبي :أنّني لا شكّ ناج
وصحا على شفتي الدّعاء فصحت حيّا على انفراج . [1]،

لقد كان لاندماج الشاعر في عوالم اللّيل، واستشراف الماورائي عبر مسالك معنويّة، كحسن الظنّ وفقه اليقين المدثّر بالدّعاء، رسم لزمن مستور تستشعر فيه النّفس الرّاحة والابتهاج، وهي تسافر عبر إضاءات الرّوح إلى نهارات الخلد، فيتداخل الوجود المتزمّن بالوجود اللامتزمّن محافظا على البناء الحسّي والمعنوي للشاعر في ظلّ رؤية إسلاميّة تؤمن بالخلود

ومن ثمّ لم يعد الزّمن، فناء ضائعا مع الأيّام يثير مشاعر الفقدان والحسرة على ما مضى، وإنّما ينفتح على عوالم التّفاؤل والإيمان بالغيب في حضرة هذه السرمديّة المطلقة الّتي هي مصدر كلّ الوجود .

تلك هي مفاهيم اللازمنية التّي يصنعها الفكر والدين و يتماهى معها الشعر في مضامينه، ليلمح إلى أنّها : وهم خلود، يبنيها العبث والعدم والوهم والأسطوري ، عندما ترتبط بالمادي وتتشكّل في إطار الفكر الأحادي القائم على مركزيّة الإنسان ولا غائيّة الوجود أي :نفي المطلق (اللّه)
وأنّها الخلود والاستمرار والدوام يبنيها الإيمان عندما تتشكّل في إطار ثنائيّة العبد والرّب .

---

[1]– **إشراق، ص256.**